**المحاضرة الخامسة:**

**الفلسفة والدولة**

الدولة هي عبارة عن تنظيمٍ سياسي يكفل حماية القوانين وتأمين النظام لمجموعةٍ من الناس يعيشون على أرضٍ معينة بشكلٍ دائم، تجمعهم عددٌ من الروابط الجغرافيّة والتاريخيّة والثقافيّة المشتركة.

يقترن اسم الدولة بعددٍ من الأجهزة المكلّفة بتدبير شأن المجتمع العام، والذي يمكنها من ممارسة سلطاتها عدد من التشريعات والقوانين السياسيّة التي تهدف إلى تحقيق الحريّة والأمن والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد.

**الدولة في الفلسفة:** حيث أننا سنستعرض الدولة في تاريخ الفلسفة كمفهوم وخصائص، وكذاأنواع الدول والأنظمة التي تحدث عنها الفلاسفة

**1: في الفلسفة اليونانية: وأفلاطون، وأرسطو.**

**أ: مفهوم الدولة عند أفلاطون:** يشيرُ أفلاطون في الجمهورية فيقول: إنّ الفردَ وحده ضعيفٌ ومن ثم يكون الاجتماع ضرورةً تحتِمُها الحياةُ الإنسانيةُ وينشأُ عن اجتماع الأفراد الحاجة إلى تقسيمِ العملِ فيما بينهم من أجلِ توفير كافة حاجاتِهم الضرورية، ويؤكّدُ أفلاطون انقسام المجتمع إلى ثلاثِ طبقاتٍ متمايزةٍ بحكم الطبيعة ولكل طبقة وظيفةٌ خصتها لها الطبيعة، وأهمّ ما يميزُ جمهورية أفلاطون هي العدالة، لذا فإنّ غايةَ الدولةِ عند أفلاطون هي تحقيقُ الانسجامِ والتناغمِ بين مكوّناتِ المجتمع، فالدولة من الأمورِ الطبيعيةِ سواءً في أهدافِها أو أصلِها ...

**ب: مفهوم الدولة عند ارسطو:** إنَ غايةَ الدولةِ عند أرسطو هي تحقيق الخير الأسمى، فكل توافق بشري -يقول أرسطو- هو من أجل تحقيق خير ما، والدولة هي أسمى ائتلاف، فهي ترمي إلى تحقيق أسمى الخيرات وهذا الخيرُ ليس سوى ضمانِ سعادة كُل الأفراد، وعبر تحقيق كل احتياجاتهم الطبيعية، وقد وُجدَ الإنسانُ بالنسبة لأرسطو لكي يعيشَ في دولة ولقد وُجدت الدولةُ من أجل تحقيق الخير لهم.

**2: في فلسفة القرون الوسطى: (الإسلاميون)**

**مفهوم الدولة عند ابن خلدون:** تحتلُّ الدولةُ عندَ ابنِ خلدون مكاناً هاماً ومتميزاً في فكره وكتاباته، يقول ساطع الحصري: "إنّ الدولةَ من المواضيعَ التي اعتنى بها ابنُ خلدون ببحثها اعتناءً كبيراً، وقد خصصَ ما يقربُ من ثلثِ المقدمةِ لهذا البحث"، ويميزُ ابنُ خلدون بين الرئاسةِ من جهةٍ والسلطان والملك من جهةٍ أُخرى، لكنه في الوقتِ ذاته لا ينفي بإمكان الرئاسة أن تنتهي بالملك وأن الدولة عند ابن خلدون لا تتحققُ إِلّا إذا حققت وظائفَ وأغراضَ تستفيدُ منها الجماعةُ البشريةُ.

**3: في الفلسفة الحديثة والمعاصرة**

تستمد الدولة مشروعيتها عند الفلاسفة عن طريق الالتزام بمبادئ العقود المبرمة بين أفراد المجتمع، والتي تهدف إلى تحقيق المصالح العامة المتمثلة - بحسب الفيلسوف إسبينوزا - بحماية حقوق الأفراد ككائناتٍ عاقلة، أو تلك المتمثلة - بحسب الفيلسوف هوبز – في تحقيق السلام والأمن الاجتماعي.

**الدولة عند جون لوك:** أما جون لوك فإنه يرى بأنّ الدولة تستمد مشروعيتها عن طريق ما تحققه من خيراتٍ ناتجة عن توفير حقوقٍ مدنيّة للأفراد، فلا يمكنّ لأية دولةٍ أن تحظى بالمشروعيّة إلا إذا كانت لديها القدرة على توفير الأمن وتمكين الأفراد من ممارسة حريتهم، وحماية ممتلكاتهم، وتكريس قيم المساواة بين أفراد المجتمع. إضافةً لهذا فإن لوك يرى بأنّ الدولة تستمد مشروعيتها عن طريق تطبيق الحاكم للقانون على جميع أفراد المجتمع دون تمييزٍ أو استثناء، وردع جميع من يحاول انتهاك القوانين والحقوق. ومن أقوال جان لوك في هذا الشأن: " يبدو لي بأنّ الدولة جماعةٌ من الناس تكونت لغرضٍ وحيد، وهو المحافظة على خيراتهم المدنيّة وتنميتها ..".

**الدولة عند ماكس فيبر:** أمّا ماكس فيبر فقد بين بأن هناك عدداً منوّعاً من المشروعيّات التي برزت عبر التاريخ، ومنها مشروعيّة الحكم التي تعتمد على حماية الماضي والتراث وقيم الأجداد، ومشروعيّة ترتبط بشخصٍ يمثّل سلطةً أخلاقيّة أو دينيّة أو أيدولوجيّة، وبالتالي يحكم باسمها، ومشروعيّة مؤسسيّة مستمدّة من المرجعيّة القانونيّة والتمثيليّة الانتخابيّة إضافةً للمؤسسات وتوزيع السلطات.

**الدولة عند هيجل:** انتقد هيجل التصوّر التعاقدي الذي يعتبر الدولة غايةً خارجيّة كالحريّة والسلم والملكيّة، ورأى أنّ الغاية من وجود الدولة تتمثل في غايةٍ باطنيّة، لأنها غاية في حدِّ ذاتها من حيث أنها تقوم بتمثيل إرادة وروح ووعي أمةٍ من الأمم، والدولة أيضاً من وجهة نظره تعتبر تجسيداً للعقل المطلق. وبصورة تفصيلية فهو يرى "هيجل" بأن الروح تحقق حريتها في الدولة وعبرها، والدولة عنده أحد منجزات العقل، ولا وجود للإرادة الفردية هنا لأن الدولة تعبر عن روح الجماعة والإرادة العامة وما الفرد إلا عضو في الإرادة العامة التي تعمل بذاتها ولذاتها كما الدولة أيضا فهي الإرادة الشاملة وبالتالي فإن العقل معيار تحليل لشكل الدولة، ويرى "هيجل" أن علينا أن نعترف بأن فكرة الحرية لا توجد بالفعل إلا في واقع الدولة، ولن تتحقق الحرية عملياً إلا عندما تعبر الدولة عن أهداف المجتمع، من خلال اختيارات الأفراد، فالدولة عنده هي: "كنه تطور التاريخ"، ويشكل حق الذات في الحرية نقطة التحول بين التاريخين: القديم والحديث، ويجب على الدولة أن تكون في خدمة المجتمع، الذي شيد لرعاية مصلحة الفرد في الرخاء والسعادة والأمن والحرية، ويعتبر هيجل أن النظر إلى الإنسان خارج الظروف الإنسانية وتصور الحرية خارج الدولة ضرباً من الوهم والخيال، إذن فالإنسان توصل إلى الوعي بحريته الفردية التي تحققت في شكل دولة، حيث أصبحت الحرية فيها نظاما شموليا مضبوط بدستور تقرره الأمة بحرية، وفي النهاية تصبح الدولة هي التعبير عن حاجة الكل الشمولية لأنها وجدت بذاتها ولذاتها، ولأنها تحقق للفرد حريته وتجسد العقل في العالم- العقل والحرية مفهومان لا فرق بينهما عند هيجل- فالذات ليست حرة طالما لم يكن الإنسان مواطنا لدولة عقلية يرى مواطنوها عن وعي بأن وحدة الكل هي هدف جامع، باختصار لقد جعل هيجل من الإنسان لأول مرة "ذاتا للنظام السياسي" ضمن فلسفة دولة تعبر عن مثال للصيرورة التاريخية نحو تحقيق الذات الشاملة لا فلسفة نظرية فحسب بل إثبات إلى أن الفلسفة مهمة لرسم الطريق لبناء دولة الواقع العقلانية وفقا لتطورات الزمان، فلا قيمة للفلسفة عند هيجل إذا ما كانت مرتبطة بالواقع، إن الدولة عند هيجل هي صيرورة لمثال واقعي وليس خيالي، وهو يرى بأن "مهمة الفلسفة معرفة الصيرورة الفعلية للمجتمعات بناء على أسس فلسفية معيارها ومصدرها العقل" لتفسير الواقع وبناء نظرية الدولة الحديثة التي هي حقيقة لفكرة أخلاقية، فالدولة كما يقول هيجل " هي الحقيقة الواقعية للفكرة الأخلاقية، هي الروح الأخلاقي من حيث هي إرادة جوهرية متجلية، وواضحة لذاتها".

**الدولة في الماركسية:** (إنجلز) إن الدولة في نظر إنجلز ليست هي الصورة المطلقة لظهور العقل في التاريخ وفي الدولة , بل إنها نتيجة تصارع قوى عديدة داخل هذا المجتمع أو ذاك في مراحل تطوره. وهذا يعني تماشيا مع التصور الماركسي ، أن التناقض والصراع هو المحدد الأول والأخير في تمفصل طبقات المجتمع تبعا للمصالح الاقتصادية لكل طبقة، ومن هنا يمكن فهم أساس قيام الدولة كطرف للمصالحة بين الأطراف المتنازعة، ومن تم تنصب نفسها فوق المجتمع.

ولهذا السبب يمكن فهم حاجة كل المجتمعات إلى الدولة ، إذ إن كل إفرازات المجتمع الإيديولوجية والدموية بين الأفراد والطبقات تحتاج كلها إلى جهاز سلطة لكبح تعارضاتها وجعلها في مستوى مقبول. لكن لا ينبغي أن نفهم من هنا أن الدولة طرف محايد في معادلة الصراع، بل هي دوما تتشكل من الطبقة الأقوى في المجتمع أي تلك الطبقة التي تسود وتهيمن اقتصاديا ، مما يضمن لها أن تسود سياسيا .وهذا يعني ، حسب انجلز، لم توجد في يوم من الأيام إلا عندما تطور الميدان الاقتصادي وفرض تنظيم المجتمع وفقا لوسائل الإنتاج والاستغلال.